رثاء العلامة محمود محمد شاكر

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

جـــــاءَ بنـــعيٍ ثم عـــزَّاني ... لـــم يدرِكـــــمْ أشـــعلِ نيراني

نيران حُـــزنٍ شـــبها نعْـــيُهُ ... يـــا صـــاحِ مـــا أعظم أحزاني

مازلـــت مُـــذْ مـــات أخي دمعتي ... تُســـعِدني أبكـــــي لإخـــواني

أبكي لأحبـــابي وأبـــكي قـــرا ... باتـــي وأخـــــداني وأقـــراني

أبكي بأشـــعاري بوشـــحوي كما ... أبكـــي بدمـــعٍ لـــي هـــتَّـــان

ولُـــذتُ بالصـــبر ، وذو الصبر قد ... يُشـــفي بتفـــويضٍ وإذعـــانِ

يأتيـــك بالأحبـــار من لم تـــزوِّ ... ذه محـــبٌّ لـــك أو شـــــاني

وقـــد نعى المذيـــاعُ شـــيخًا ولا ... شِبْـــهَ لـــه مِن انْسٍ أو جـــان[1]

نعى أبـــا فِـــهْرٍ وزُلْـــفى وقـــد ... نعلمـــه مـــنْ خـــيرِ إنســـانِ

يـــزورُه الطـــلابُ في منـــزلٍ ... رحْبٍ بنورِ العلـــم مُـــــزدانِ

مأوى أولي الألبـــاب في داره الـــ ... جـــوُد وفيـــهـــا زادُ أذهـــــانِ

وأمُّ فهـــرٍ كمْ أعانـــت على الـــ ... بِرِّ هـــُما فـــي البِـــرِّ صنـــوانِ

أذكـــــر لما جئـــتُـــه زائـــرًا ... صاحِبَ دردِيـــري وحيَّانـــي[2]

كان كتـــابٌ منـــه قد جـــاءني ... يمدحُ ســـفِرًا لـــي فـــأرضَـــاني

ووجهـــهُ أشـــرقَ في منـــزلٍ ... بالبشـــر فيـــه قـــد تـــلقَّاني

ســـحيَّةٌ من حَســـبٍ لم يشُبْـــ ... ـهَا بريـــاءٍ أو بإدهـــانِ

قلتُ لنـــاعيه ألا قـــد نعى ... طَـــوْدًا ركينًا مثل ثهـــلانِ

لم يتحَلْحَلْ حينـــما حُلْحِلَ الـــ ... كَـــونُ ولـــم يخضَـــعْ لطُغيـــانِ

(*) ألقيت هذه القصيدة في الجلسة السابعة يوم السبت ١١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

(١) الأستاذ الدردِيري أحمد إسماعيل رحمه الله كان سفير السودان بمصر حينا ومن قبل كان وكيلا لوزارة شئون السودان بمصر. كان قانونيا فاضلا من أوائل من تخلموا العلوم الجامعية من أبناء السودان ، درس بجامعة ليدز في بريطانيا في بعثة للأمير عمر طوسون رحمه الله.

عــزيزُ نَفــْسٍ ذو حفــاظٍ وذو صَــدْرٍ لكنـــز العلــمِ خَزَّانِ

أبـوه قــد كان امرأً عــالــمًا بمصــرَ معـــــروفًا وســودانِ

أَسـَّس فينــا معهــدًا خــيرَ تأْ سيــسٍ علــى مذهــبِ نُعمانِ

أقــام في الــخُرطــومِ كليــةً كأنَّــها صــَرْحُ سُــــلَيْمانِ

بحــجر الرمــل بَنــوْها والاَ جــُرٍّ وبالجــصِّ وصَــــوَّانِ

في بلــــدٍ لم يَــبْنِ في أرضــه مِن قبلُ غير الطــينِ مــن باني

سِوَى الطرابيل التي قــرب شنــ دى في تــــلالٍ بينَ كُثــبانِ

ومــَرْخِ وادٍ ثَم آثــــار صهــ ــر لحــديدٍ عنــــد حزَّان [1]

قيــل لنا شيَّــدهَا معــشــرٌ كانــوا هنــــا غابــرَ أزمــانِ

وغــيرَ قُبَّــاتٍ بنــــاها لأشــ ياخٍ لهــــم أصنــافُ حــيرَانِ

قد أعتــق الإســلام أعنــاقَنَا من أَسْــرِأوثان ورهبــــانِ

وجــاءنا صــوفية مكّنوا الــ ديــــن بإيمــانٍ وإحســــانِ

وقــد بنى شــيخُ بني شــاكرٍ محمَّــدٌ أمتَــــنَ بُنــيــانِ (*)

أَعَــدَّ للقــاضي فيقــضي بها لائحــةً أعْــدَلَ ميــــــزانِ

و العــــلمُ في آلِ بني شــاكرٍ قــام على أثْبــــتِ أركــــانِ

هم شــــرَفاءُ وحــسَينيَّة مِثــلهُــمُ لَمْ تَــــــرَ عَينــانِ

مُحــدِّثُون بــأســــــانيدهم وراســـخو تأويــــلِ قــرآنِ

وقــد تلا هــارون قــــرَّاعةٌ شــَيخانِ في الظلــــمة نجمانِ

ثم الــمراغِيُّ ومَنْ بَعــــــدَهُ قضاةُ شــَرْعٍ أَهْل عــــــرْفَانِ

والشيخُ مُحيي الــدين مُذْ جاءَنا مــا فَضْــلَهُ دَهــري أنْســـــانِ

سَــمِيُّ جار الله مــــن بعــدِهم عالِمُ وادي النيــلِ ذو الشــــانِ

---

(١)المرخ هو الشجرة التي يستخرج منها النار ، وكان للمرويين معامل بناحية جبال المحمة وغيرها لصهر الحديد .

* هو والد الشيخ محمود محمد شاكر كان أول قاض للقضاة بالسودان وأسس قسم القضاء الشرعي بالكلية ووضع لائحة القضاء على المشهور من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

بقيــةٌ من سَـــلَفٍ صـــالحٍ ... لـــم يكُ في الديـــنِ بوَهـــْنَانِ
أنفـــاس جـــار الله في كتبـــهِ ... بالنَّفَـــسِ السَّاخِـــنِ تَغْشَـــانِي
مُذاكشـــرُ حَبْرٌ أخـــو خِبـــرةٍ ... فـــردًا بهـــا ليـــس لـــه ثاني
أتْبـــعَ تفســـيرَ أبي جعفـــرٍ ... تعليـــقَ تحقيـــقٍ وإتقـــانِ
لو أنَّـــهُ أكمـــلَـــه لاكْتـــفى ... به إِذَنْ عن غـــيـــرِه الغـــاني
يَنْـــمِي الأحـــاديثَ إلى أصلِهَا ... عند مديـــنيٍّ وشَـــيبـــاني(٥)
يرجـــع بالشـــعر إلـــى مَنْ روا ... ه بين قيـــســـنٍّ وقَحْطَانـــي
وكـــان بـــحَّاثًا بعيـــد المـــدى ... صاحـــبَ تنظيـــرٍ وبُـــرهانِ
مُشـــتمِل النَّفـــسِ علـــى قُـــوّةٍ ... كأنهـــا ثـــورةُ بُـــركـــانِ
ذو أســـهُمٍ مثل أخـــي الخضير ... يرميهنَّ عن كبداءَ مِـــرنانِ(٦)
وشـــُهُب يقـــذِفُها عـــن سمـــا ... ءِ الحـــقِّ تُردِي كلَّ شيْطَـــانِ
فنســـألُ الله لـــه منـــزل الـــر ... روضات فـــي جناتِ رضوانِ
يُجزَى جزاءَ الضِّعْفِ عن حُسْـــ ... ـــنِ ما أسدى بعفـــوٍ وبغفرانِ
وبركـــاتٍ في ذويه مع الأجـــ ... ـــر الذي مـــن غـــيرِ نُقْصانِ
والحمـــدُ لله عَلَى ما حبـــا ... نَا نِعَمـــًا كَيلاً بِـــرُجْـــحَانِ
ثُـــمَّ صلاةٌ لنبي الهدى المخْـــ ... تَارِ من صفـــوةِ عـــــدنانِ
تُتْـــلَى بتســـليـــمٍ على آلِـــهِ ... والصَّحْبِ مَاكرَّ الجديـــدانِ

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

---

(١) إشارة إلى علي بن المديني وأحمد بن حنبل الإمام رضي الله عنهما .
(٢) أخو الخضر هو عامر الخضري الرامي يقول فيه الشماخ :
قليل التلاد غير قوس وأسهم ... كأن الذي يرمي من الوحش تارز
وفيه الزائية التي للشماخ وعلق عليها الشيخ محمود رحمه الله بقوسه . العذراء والكبداء القوس . والمرنان التي لها رنة حين الرمي عنها .